المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

العنف في الفكر النحوي عند العرب (دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعية)

أ.م . د. ماجد عيال وهيب
كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة ذي قار - العراق
magidaleabadi@yahoo.com

الملخص
حفلت البيئة العربية بحياة شاقة، اكتنفتها صعوبات متعددة من قبيل الصحراء والجفاف والوعورة والمناخ وما اليه مما أثر، بشكل مباشر، على نفسية العربي وطباعه ، ولكي يتأقلم مع بيئته ويتكيف مع حياته اختط لنفسه مسارا حياتيا يضمن له العيش ويوفر له مقومات البقاء، فكان بحكم المقاتل الذي يدافع من اجل ان يبقى على قيد الحياة ، لذا تغلغلت في نفسيته صفات متعددة ونمت في داخله خصال منها ما هو محبب ومنها ما هو مستكره، فرضته طبيعة حياته عليه من قبيل العنف والغزو والاضطراب والارتحال وعدم الاستقرار، بحثا عن الكلأ والماء .وحين جاء الإسلام بدأ بتهذيب هذه النفوس الا أن شيئا من تلك الصفات بقي عالقا بنفسية العربي وطباعة، فترسب في سلوكه وفكره ومن ذلك العنف، فنجده في لغته واسلوبه وتراكيبه. وعند بداية التأليف النحوي رصدنا في المؤلفات النحوية مصاديق لهذا العنف والتعسف فكان أن جاءت دراستنا هذه للوقوف على العنف في الفكر النحوي عند العرب في ضوء اللسانيات الاجتماعية بغية الإشارة الى أسبابه ودوافعه..

الكلمات المفتاحية: الفكر النحوي، العنف، التعسف، الدوافع، الخلاف.

Violence in Grammatical Thought among the Arabs (A study in the light of sociolinguistics)

Assist. Prof. Dr. Majid Ayal Waheeb
College of Education for Human Sciences - Dhi Qar University - Iraq
magidaleabadi@yahoo.com

ABSTRACT
In thıs research, we studied the violence in grammatical thinking among Arabs accordıng to social linguistics and its causes and motives. There were general causes such as the era of eloquence, spatial restriction, and the consıderatıon of some Qur'anic readings whıle ıgnorıng others. In addıtıon, the changes and political factors and their impact on the emergence of violence in thinking among the Arab. The study also dealt with special causes such as ego, the national factor, sectarian affiliation, the economic factor, the heart inclination and detestation of others, all of which formed an exclusionary motive and generated violence in the grammatical thinking of the Arabs which mainly affected the grammatical lesson of the Arabs and kept it away in important aspects in it from objectivity and the scientific method that raises thought indicates maturity and advancement scientifically.

Keywords: grammatical thought, violence, abuse, motives, disagreement.

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

مقدمة

هناك دوافع عامة للعنف والتعسف في الفكر النحوي عند العرب ودوافع خاصة. الدوافع العامة منشؤها عوامل تتعلق بتأسيس الدرس النحوي وبوادره الأولى والاسس التي وضعت له والقوانين التي حكمته وفرضت على درسه من قبيل المنهج والمادة المستشهد بها وعصر الفصاحة وشروط الشاهد النحوي .والدوافع الخاصة تتمثل بطبيعة النحوي نفسه وما تشتمل عليه نفسيته وذاته من قبيل (الانا) والبعد الفكري والانتماء المذهبي وارضاء النفس وإظهار القدرة والتمكن من المادة العلمية. وتقتضي طبيعة البحث أن نتعرض الى الدوافع العامة أولا؛ لأنها تأتي بالمقام الأولى ولأنها مفروضة على النحويين بقوة مجهولة لا سبيل الى قهرها او التجاوز عليها ومن ثم نتعرض الى الاسباب الخاصة ..

وعلينا قبل ذلك ان نشير بشيء من الايجاز الى ما معنى العنف وما معنى الفكر، فضلا عن معنى النحو. فقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن " العنف هو الخرق بالأمر وقلة الرفق به ، وهو ضد الرفق، عنف به وعليه ...وهو عنيف اذا لم يكن رفيقا في امره ، وفي الحديث إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لايعطي على العنف ...."[1]

اما الفكر فهو اعمال الخاطر في الشيء[2] ، أو اعمال النظر في الشيء[3]. نقول: فكر في الامر، تفكر فيه، تأمله ، أعمل العقل فيه ليصل الى نتيجة او حل او قرار ...وهو نشاط ذهني ، من خلال اعمال العقل في المعلوم للوصول الى معرفة مجهول .من هنا فالفكر والتفكير هو إعمال العقل من خلال أساليب عقلية وطرق منطقية للوصول الى نتائج واقعية استنادا الى براهين وادلة عقلية ونقلية.[4]

اما النحو فهو القصد والطريق يكون ظرفا ويكون اسما والنحو اصطلاحا هو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه من اعراب وغيره؛ ليلحق من ليس من اهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم او إن شذ بعضهم عنها رد به اليها.[5]

وهو أيضا علم يدرس مواقع الكلمات داخل الجملة والعلاقات النحوية بينها ويعرف به أحوال أواخر الكلام اعرابا وبناء[6]

بدأت بدايات الفكر النحوي "منذ نشأة التفكير النحوي والمحاولات المختلفة في الكشف عن الظواهر اللغوية وصبها في قواعد نحوية وتنتهي الى الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) الذي يعد قمة هذه المرحلة في تحديد الأصول العامة للبحث النحوي وتنقيتها وتطبيقها، فقد استطاع البحث النحوي في هذه المرحلة ان يكشف عن الظواهر الرئيسية للغة العربية وكان اول ما اكتشف في هذا المجال ظاهرة التصرف الاعرابي "[7]. اما مرحلة النضوج الفكري فتبدأ بتلاميذ الخليل بن احمد وتنتهي بالزجاج إذ تمتد قرابة قرن ونصف القرن وهي اكثر المراحل أهمية في تاريخ النحو العربي بل في حياة الفكر العربي بأسره، فهي المرحلة التي شهدت بداية التفاعل الحقيقي بين الفكر العربي الإسلامي وبين الأفكار غير العربية الإسلامية[8] ، وهي من أهم مراحل الفكر النحوي إن لم تكن الأهم لان الفكر النحوي نما بشكل كبير فظهرت مدرسة البصرة النحوية وتبعتها مدرسة الكوفة اذ كان لهما الفضل الأول في تنمية الفكر النحوي وبنائه .

وفي هذه المرحلة برز كتاب سيبويه الذي " يعد النص الحقيقي المؤسس للفكر النحوي العربي إذ إنه دراسة واسعة في أساليب العربية وبنية مفرداتها المتمثلة بالنحو والصرف "[9]

العوامل المؤثرة في الفكر النحوي

يعد ظهور اللحن في اللسان العربي ابرز عامل مؤثر في الفكر النحوي في هذا الطور فقد كان السبب الرئيس في اعمال الفكر النحوي سعيا من علماء النحو في تلاشي هذه الظاهرة ،ولعل من ابرز العوامل المؤثرة في نشأة الفكر النحوي في هذه المرحلة هو التنافس بين نحويي البصرة ونحويي الكوفة اذ كان " مبعث ذلك النشاط التنافس البلدي الذي عرض ابان هذا الطور فرام كل من أهل البلدين البصرة والكوفة ظفرا على الاخر "[10]

اهم الأسباب التي أدت الى ظهور الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين

لعل من اهم الأسباب التي أدت الى ظهور الخلاف هو اختلاف القبائل العربية في الفصاحة وسلامة اللغة وتعد نشأة العربية احد أهم الأسباب التي أوجدت الخلاف النحوي بين العلماء فقد عاش العرب في شبه جزيرة العرب وكونوا قبائل متعددة ومتفرقة وعاشت معهم العربية وتطورت في هذه الظروف ، وكانت هذه القبائل على

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

درجات متفاوتة من" الفصاحة وصفاء العروبة، فقد اشتهر بعضها بأنه افصح من بعض ولم تكن كذلك في درجة واحدة من سلامة اللغة فقد سلمت بعض القبائل وحافظت على عربيتها من تسرب الدخيل اليها"[11]

واختلاف القبائل العربية في فصاحتها وفي قوة لغتها كان عاملا مؤثرا في بناء الفكر النحوي، ونشوء الخلاف بين علمائه، الامر الذي دفع علماء البصرة الى تحديد القبائل التي يجوز النقل عنها وامتنعوا عن النقل من قبائل أخرى . اما الكوفيون فقد كانوا اقل التزاما بذلك. يقول ابن خلدون " كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأحرقها، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل خزاعة وغطفان وبني اسد وبني تميم واما من بَعُدَ عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية "[12] والحق أن هذا الامر فيه اثر سياسي واضح فقريش كانت على اتصال مباشر بغير العرب بحكم أسواقها وموسم الحج الذي يجري كل سنة فكيف تكون لغتها افصح لغات العرب فضلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :" انا افصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش" ومعنى الحديث واضح فـ(بيد) استدراك معناه (لكنني) ..وهذا الامر هو عنف بحد ذاته اذ يقرب قبائل ويبعد أخرى وهو مؤشر على الاقصاء والتهميش والتعسف بحق بعض القبائل دون غيرها .

وهو مؤشر على ثقافة الانحياز، فقد نظر بعضهم الى لهجة قريش نظرة التعظيم والاحترام دونا عن غيرها من اللهجات الأخرى ، بالرغم من أنه ليست الشقة بينها بعيدة ، فتتوافق في بعض الخصائص وتنماز في بعضها الاخر ، و تأخذ منها وتعطي ، وليس شرط أن ما تعطيه ، أو تأخذه هو الأفضل ، ولقد تجلى الانحياز بعينه في زعم بعض اللغويين في وصفه للغة قريش أنها تخلو من عيوب غيرها، فقد كانت تجتبي وتنتقي وتختار ما يعنّ لها من محاسن لهجات القبائل[13]

ولما كان النحو العربي يعتمد على ركني القاعدة النحوية وهما السماع والقياس فضلا عن أن ممارسة العمل النحوي امتدت طويلا وسارت في تشعبات ومسالك أخرى بغية تنقيح هذين الركنين مستفيدة من الروافد الثقافية للنحو العربي كالفقه واصوله والمنطق لذا كان من الطبيعي ان ينتقل بعض النحويين الى مرحلة التدقيق في لغة التأليف النحوي فنشأت ظاهرة الردود والاستدراكات والمخالفات والاعتراضات مما هيأ لجو من العنف في رفض الاخر وعدم الاقتناع بآرائه والرد عليه بغلظة وفضاضة كل ذلك كان ناتجا من ثقافة النحوي وميوله الفكرية ومشاعره النفسية ومتبنياته السياسية فضلا عن انتماءاته المذهبية[14] .

ولعل العنف في الفكر النحوي متأت من الخلاف في النحو العلمي الذي ينشد البحث من وراء تناسق العربية في الاستعمال؛ إذ إن النحوي في دائرة النحو العلمي يحرص كل الحرص على اثبات الحكم النحوي بالحجة والدليل؛ فالنحوي قاض بين الناس في كلامهم يحكم على صحة نظم كلامهم بالادلة والحجج والبراهين وهذه الأدلة والبراهين يمكن ان يقع فيها الخلاف ويمكن ان ترد أو تنقض، شأنها شأن الأدلة في القضاء[15].

ولذا الفت كتب في فنون الجدل واثبات الحجة بغية تبيان أسسها السليمة بعيدا عن العنف والتعسف والتطرف في ذلك ،يقول أبو البركات الانباري إنه الف كتابه (الاغراب في جدل الاعراب) في قوانين الجدل والآداب بهدف المجادلة والمحاولة والمناظرة في سبيل الحق ليسلك النحويون طريق الصواب ويتأدبوا به عند المحاورة والمذاكرة عن المناظرة والمضاجرة في الخطاب.[16]

من هنا ندرك ان العلماء كانوا ملتفتين الى ما انتاب النحويين من التعسف والعنف والابتعاد عن الانصاف، أحيانا، في الاختلافات ، وتعدد الآراء والاثبات والنقض.

الدوافع العامة

اولا- عصر الفصاحة

أطلق سيبويه صفة الفصاحة على الناطقين لا على كلامهم فكلما ثبت عنده أن ما سمعه هو من كلام العرب فهو حقيقةً عربي، وقد اكتفى بوصفه كذلك، ومعياره في ذلك هو كثرة العرب الذين يستعملون هذا الذي سمعه، وكون ذلك المسموع شائعا مأنوسا لفظا ومعنى، إفرادا وتركيبًا[17] .

وقد أشار عبد القاهر الجرجاني الى معنى الفصاحة حين قال: " لم يعلموا أّن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أّنها في اللغة أثبت وفي استعمال الفصحاء أكثر، وأّنها أجرى على مقاييس اللغة والقوانين التي

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

وضعوها، وأن الذي هو معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الإبانة عن المعنى بدلالة قولهم: "فصيح" و"أعجم" و"أفصح الأعجمي" و"فصح اللّحان" وأفصح الرجل بكذا إذا صرح به "[18]

إنَّ هذا التحديد الدقيق الذي يشمل على أكثر المدلولات للفظة "الفصاحة" التي استعملها النحويون الأوائل ومن جاء بعدهم كمصطلح، والمفهوم من كلام الجرجاني أنّه لا يطلق صفة الفصيح على الناطق فقط بل على ما ينطق به أيضا، وقد شاع ذلك منذ نهاية القرن الثاني للهجرة، وأّن الفصيح من المفردات هو ما ثبت في اللغة أي ما سمع بالفعل من طرف الثقاة اللغويين، وما كثر منها في استعمال الفصحاء، وكان خاضعا للمقاييس الخاصة بالعربية التي ينطق بها هؤلاء الفصحاء، فضلا عن أّن مفهوم الفصاحة هو الإبانة والوضوح، وهو مرتبط بمفهومي كثرة الاستعمال والشيوع، فكلما كان اللفظ أوضح لكثرة من يستعمله قيل عنه أفصح[19] .

وهذا هو المقياس الأساسي الذي اعتمد عليه النحويون في إثبات المسموع واقراره كلفظٍ عربي ولفظ ثابت في كلامهم ينتمي إلى لغتهم، وقد أدرك بعض العلماء الذين جاؤوا بعد الجرجاني هذه المدلولات التي قصدها القدماء في استعمالهم للفظة الفصاحة، إلاّ أّنهم خّصصوها بما ينطق به الفصيح فقط، وقد عني بمدلول الوضوح وكثرة الاستعمال البلاغيون بصفة خاصة[20] .

وعلم النحو له أصول ودعائم يعتمد عليها الدارسون والنحاة، وهذه الأصول قد حددها ابن جني (ت 392 هـ) وهي ثلاثة: السماع والإجماع والقياس، في حين حصرها ابن الأنباري في النقل والقياس واستصحاب الحال ملغًيا الإجماع، أما السيوطي فقد حصرها في السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال، والمتفق عليه هو السماع ويعد الركن الأساسي في تقعيد اللغة.

وعن فائدة هذه الأصول يقول السيوطي: "وفائدته التعويل في إثبات الحكم على الحجة والتعليل والارتفاع من حضيض التقليد إلى يفاع الاطّلاع على الدليل"[21]

والمقصود بالسماع أو النقل كما يسميه ابن الانباري بأّنه الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حداثته إلى حدِ الكثرة[22] والمقصود بالفصيح الذي استوفى شروط الفصاحة وكذلك معرفة أحوال النقلة والإحاطة بما يسمى بعلم الجرح والتعديل، بالإضافة تواتر عدد كبير من النقلة على رواية واحدة.

وقد كانت لغة قريش أفصح اللغات، لأّنها كانت تنتقي أفصح الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموًعا وابانة عّما في النفس[23] وعدها سيبويه أفصح اللّغات وأحلاها وأقواها وهي اللغة الأولى و القدمى[24]

الزم علماء النحو انفسهم في اختيار مادتهم العلمية المستشهد بها في حدود زمانية وهي ١٥٠هجرية منتصف القرن الثاني وكل مادة تأتي بعد هذا التأريخ لا تصلح شاهدا نحويا الا اذا كانت في البادية البعيدة المنقطعة عن غيرها والتي يصعب او يتعذر اتصالها بغير العرب ممن يخشى من تسرب لغتهم والفاظهم الى لغة العرب فتؤثر سلبا في العربية .اما المناطق التي تتعرض لزيارات واتصالات مباشرة مع غير العرب فوضع عصر الفصاحة شرطا للاستشهاد بكلامها وحجتهم ان الدولة الإسلامية اتسعت رقعتها ودخلت اقوام من غير العرب الى الإسلام بعد هذا التأريخ مما من شأنه ان يؤثر على أصول العربية واسلوبها وتراكيبها ونظم كلامها الذي ولدت عليها وهذا الامر بحد ذاته هو عنف وتعسف؛ لأنه وضع قيدا صارما على النحو العربي مما ترك تأثيرا كبيرا في فكر عالم النحو وحدَّ من تحركه العلمي واسلوبه فولد صعوبة وعوائق امامه وقيد تنقله في استقراء مادة النحو العلمية المتمثلة بالشواهد النحوية.

ثانيا: الحدود الزمانية والمكانية:

كانت اللغة طوال القرن الأول هجري صافية نقية، لكن مع بداية القرن الثاني بدأ اللحن يدب إلى العربية بسبب الانفتاح الحضاري على الأمم المجاورة من الروم والفرس ومن العوامل التي أدت إلى الاحتكاك بهذه الأمم هي التبادلات المعرفية والمعاملات التجارية ، وعلى هذا حددت مواطن الفصاحة في وسط الجزيرة العربية دون بقية أطرافها التي كانت متاخمة للاعاجم كالروم والفرس والاحباش، فهذا الانعزال عن الأمم الأخرى كان له الأثر الكبير في المحافظة على الفصحى .

وتعد البداوة من الأسس التي اعتمدها عليها اللغويون والنحويون في اختيارهم للشواهد، فبعد أن استقر رأي العلماء على صحة الاستشهاد بالطبقات الثلاث الأولى، قام اللغويون بمراجعة اشعارهم للوقوف على بداوة الشاعر وتحضره إذ جعلت البداوة شرطا من شروط الفصاحة فنتج عن تلك المراجعة الحكم على قسم من

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والإجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

الشعراء بالضعف ولين اللسان بسبب بعدهم عن البداوة ومخالطتهم للحضر في المدن، مّما أفقده معاني القسوة من وعورة إذ لانت جلوُدهم وَسهُلت وعورتهم"وتلك الوعورة والوحشية كانت مطلب النحاة في اللغة وهي نفسها مطلبهم في الشعراء، فإذا فُقدت فُقدت معها الرغبةُ فيهم والأخُذ عنهم" [25].

وكان لهذا العامل دور بارز في الاستشهاد، فقد مّجد العلماء البادية واتجهوا نحوها ووثقوا أهلَها فهي منبع الفصاحة والبيان، لذلك كانت العرب في الحاضرة ترسل أبناءها إلى البادية لتعلم الفصاحة، وهذا الخليل بن أحمد سئل من أين أخذت علمك هذا؟ قال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة[26] وعلى قدر توغل القبيلة في البداوة تكون فصاحتها لذلك لم يؤخذ عن القبائل التي تسكن أطراف الجزيرة لانهم كانوا مجاورين للفرس والروم والأحباش، وحجة العلماء في ذلك حرصهم الشديد على سلامة اللغة من أن يطأها اللحن والقبائل التي أخذت عنها اللغة هي قبائل: قيس وتميم وأسد وعليهم مدار الأخذ وعليهم اتكل في الغريب والاعراب والتصريف ثّم تأتي هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.[27]

هذا ويرجع سّر تقديس النحويين واللغويين للبداوة إلى ما ألصقوه بها من سليقة وطبع فالشاعر الأصيل هو الذي تجيء لغته في شعره سليقة وهو بذلك قريب من البدوي الذي تتدفق اللغة على لسانه بلا تكلف) أي حتى وان لم يكن بدويا فإن شعره يكون إن جزل أقرب إلى لغة السليقين البداة فهو أقرب منهم لذلك(، أما ذلك الذي يعود شعره ويصيغه (يتكلفه) فإنَّ دافعه لذلك من جهة نظرهم هو ضعف سليقته وبعده عن الفطرة السليمة.[28]

ومن أجل التأكد من صحة المسموع ونقائه اللغوي، وضع اللغويون شروطا وضوابط للأخذ به واستنباط قواعده، ولا سيما الشعر الذي أخذ الدرجة العليا في النحو العربي المادة المروية؛ وضع النحاة حدوًدا زمانية ومكانية إذ حددت القبائل المعروفة بفصاحتها فلا يصح الاخذ عن غيرها وحدودا زمانية يقف عندها السامع من اعراب البوادي وسكان الحواضر.

أ. الإطار الزماني

لقد نص النحويون واللغويون على أنَّ الفترة الزمانية تبدأ بأقدم ما وصل إليهم من نصوص العصر الجاهلي إلى أواخر القرن الرابع الهجري بالنسبة لسكان البوادي، أّما أهل الحضر فيقف الاستشهاد بكلامهم عند القرن الثاني الهجري، وعلى هذا الاعتبار قسم اللغويون والنحاة الشعراء المحتج بكلامهم الى طبقات :

1-طبقة الشعراء الجاهليين: وهم من عاش قبل الإسلام مثل: امرىء القيس، وزهيربن أبي سلمى وغيرهم كثير.

2 -طبقة المخضرمين: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد بن ربيعة، وحسان بن ثابت.

3. طبقة الإسلاميين: وهم الذين عاشوا في صدر الإسلام ولم يدركوا الجاهلية كجرير والفرزدق

4- طبقة المولدين أو المحدثين: مثل بشار بن برد وأبي نواس.

فأما طبقة الشعراء الجاهليين والمخضرمين فقد أجمع أهل العربية على صحة الاستشهاد بشعرهم، ونقل الإجماع على ذلك.[29] ، أما طبقة الإسلاميين فقد اختلف أهل العربية في صحة الاستشهاد بشعرهم إلى فريقين:

الفريق الأول: يرفضون الاستشهاد بشعر هذه الطبقة وعلى رأسهم أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن ابي اسحاق، والأصمعي كانوا يلحنون الفرزدق من شعراء هذه الطبقة ،وقد ذكر الأصمعي أنه جلس إلى أبي عمرو بن العلاء ثماني حجج فما سمعه يحتج ببيت شعري لطبقة الإسلاميين.[30]

الفريق الثاني: هذا الفريق يرى صحة الاستشهاد بشعر هذه الطبقة، وهم جمهور أهل اللغة كالخليل، ويونس بن حبيب وسيبويه وغيرهم، فقد كان يونس بن حبيب يفضل الفرزدق ويقول: "لولا الفرزدق لذهب شعر العرب" وقال ابن شبرمة: "الفرزدق أشعر النّاس" وقال عنه أبو عمرو بن العلاء:" لم أر بدويا أقام في الحضر إلاّ فسد لسانه غير رؤبة ابن العجاج والفرزدق"[31]

والذي استقر عليه الأمر وسار عليه اللغويون والمفسرون هو جواز الاستشهاد بشعر هذه الطبقة وهو ما سار عليه أهل العربية.[32] أما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بشعرها مطلقا ، وقد نقل السيوطي الاجماع على ذلك .[33]

(وما ورد من أشعارها فعلى سبيل المثال والاستئناس، وقليل ما نقله أهل العربية من أشعار تلك الطبقة.

ولعل العنف واضح في اقصاء بعض الشعراء عن دائرة الاستشهاد بشعرهم ، ولعل هناك عوامل غير موضوعية ،وأسباب غير علمية أدت الى ذلك .

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

ب. الإطار المكاني:

لم تكن لغة العرب على مستوى واحد من الفصاحة ، فقد اشتهر أن بعضها أفصح من بعض ولم تكن على درجة واحدة من السلامة فقد سلمت بعض القبائل وحافظت على عربيتها لبعد مكانها عن الاختلاط والفساد، ولذلك فضل العلماء في استقرائهم للغة وجمعها بعض القبائل على بعض ، فاستبعدوا لغة حِمْيَر لأنها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة مضر، ولأنهم خالطوا الحبشة وخالطوا اليهود وخالطوا الفرس فاختلطت لغتهم وفسدت، ولم يأخذوا عن القبائل التي تسكن التخوم لمجاورتهم لمصر والشام وفارس والهند، ولهذا لم يأخذوا عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولم يأخذوا عن الحضريين لفساد لغتهم[34] ، وقالوا" إن الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي ، وعنهم اخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيس، وتميم، وأسد، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، وقال عمرو بن العلاء: افصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم. وقال: والسبب في هذا ما ذكرت من أنهم كانوا يختارون من العرب ما بقوا على عربيتهم ولم يفسدها اختلاطهم بغيرهم" [35] ، وقد علل ابن جني انصراف اللغويين والنحويين عن سكان الحواضر والاقتصار على اهل البادية وذلك في باب (ترك الاخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) فقال:" علة ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخَلط، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعتِرض شيٌء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يُؤخُذ عن أهل الوبر "[36]

واذا كان اشتراط اللغويين والنحويين للبداوة يعكس مدى حرصهم على اللغة، واهتمامهم بأخذها من منبعها الأصيل ، فيشير أيضا الى أن فيه ابعادا سياسية واقتصادية أقصت بعض القبائل عن الاستشهاد بشعرها وهذا يدخل ضمن خانة العنف الذي تغلغل في الفكر النحوي واللغوي وترك اثره في حرمان العربية من كم هائل من الفاظ وأساليب وتراكيب هي اقرب الى روح العربية من غيرها فضلا عن انه ابتعاد عن المنهج العلمي في دراسة اللغة الذي يشترط دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

الاستشهاد بالقراءات القرآنية

اختلفت الآراء في استشهادات النحويين بالقراءات القرآنية في قواعدهم واقيستهم النحوية وتباينت بين البصريين والكوفيين ، فقد ذهب بعضهم الى أن البصريين هم أول من فتح باب الطعن على القراءات القرآنية ، المتواترة ، والشاذة ،ثم انتقل الطعن الى بعض نحويي الكوفة[37].

ويرى بعض المحدثين ان السبب في ذلك والدافع اليه هو ضعف الاستقراء ونقصانه ، فقد اعتمدوا في الاخذ عن القبائل المشهورة وتجاهلوا القبائل الأخرى ، فرفضوا كثيرا من القراءات التي تمثل لهجات لهذه القبائل ، ووقفوا منها موقفا معارضا للاستشهاد بها[38]

ودافع بعضهم عن موقف البصريين ورد التهمة عنهم ، فقالوا أن ما ورد عنهم في هذا الباب انما هو من متأخري نحوييهم وليس ممن وضع اصولهم النحوية ومد اقيستها ، وشرح عليها .اما المحدثون فقد ذهبوا الى أن البصريين كانوا يردون بعض القراءات ويضيفونها؛ لانها ظاهرة عامة كانت في منهجهم .[39]

ولما كانت شروط القراءة الصحيحة ثلاثة بحسب ما يذكره ابن الجزري فيقول : " كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل انكارها بل هي من الاحرف السبعة، ام العشرة ، ام من غيرهم من الائمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ، اطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، او باطلة ، سواء كانت عن السبعة او عمن هو اكبر منهم ، وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف ، والخلف ...الذي لا يعرف عن احد منهم خلافه"[40]

والحق أن من نحويي المدرستين من لم يلتزم بذلك فقد كانوا يحكمون على القراءات القرآنية من خلال قواعدهم النحوية فما وافقها اخذوا به واحتجوا ، وهو عندهم الشاهد الأول والاعلى فصاحة سواءً كانت صحيحة ام شاذة .اما اذا عارضت مقاييسهم النحوية وقواعدهم التي قعدوها ضعفوها وردوها ، بل قد يرون أنها لحن وخطأ لا يمكن الاستناد اليه . هذا الامر مثل نوعا من أنواع العنف والتعسف في الفكر النحوي عند العرب فقد حرم العربية من قراءات قرانيه كثيرة على مستوى عال من الفصاحة كانت كاشفة عن أساليب العربية في نظمها وتراكيبها ألا ان ضيق أفق بعض النحويين حال دون ذلك فراحوا يحاكمون القراءات القرآنية على وفق قواعدهم

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والإجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

النحوية في حين أن القراءات اقدم من قواعدهم ولا حاكمية للنحو على القراءات ، ولعل ضعف استقرائهم فعل فعله في ذلك .

2. التحولات السياسية وأثرها في الفكر النحوي

كانت السياسة لاعباً أساسياً في نمو الفكر النحوي وازدهاره ، وتعد أحد العوامل المؤسسة للنحو، فإذا نظرنا إلى بدايات النحو الأولى وجدنا أنها كانت أبرز سبب في وجود النحو الكوفي، وظهور الخلافات النحوية بين مدرستي البصرة والكوفة.

ولم تكن هذه الخلافات النحوية في أولها أكثر من المذاكرة وحكاية الأقوال المخالفة والردعليها أحياناً، وكان سيبويه يورد لشيخيه يونس والخليل أقوالاً لهما، ثم يخالفهما[41]، ولكن لما تدخلت السياسة في ذلك أدّى الى ظهور مدرسة الكوفة النحوية، وساهم ذلك في ظهور التعصب بين أصحاب المدرستين، وتمسك كل فريق برأيه، وبرزت تلك الخلافات عندما "قرب العباسيون الكسائي وتلاميذه، وخصوهم بتربية أولادهم، وبالإغداق عليهم إذ كان أهل الكوفة بالجملة أخلص لهم وأحسن سابقة معهم، على عكس أهل البصرة، فاجتهد المقربون في التمسك بدنياهم التي نالوها، ووقفوا بالمرصاد للبصريين"[42]

الدوافع الخاصة للعنف في الفكر النحوي عند العرب

بنيت الكتب النحوية على الفية بن مالك في النحو، شروحا وتعليقات وإضافات وحملت هذه الالفية عنوانات حملت فكرا اقصائيا عن غيرها ومثلت بعدا لما يعتمل في(أنا) العالم النحوي ، فحينما نقف على كتاب(المفصل في صنعة الاعراب) الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) يعبر لنا العنوان أن المؤلَّف يختلف عن غيره في كونه حمل التفصيل في مسائل النحو ولم يترك شاردة ولا واردة الا ووقف عندها. ويستوقفنا عنوان كتاب (اللباب في علل البناء والاعراب) لابي البقاء العكبري (ت٦١٦ هـ) الذي يحمل مفردة اللباب جمع (لب) ودلالة ذلك أنه لا يحمل اسفافا ولا مادة هامشية بعيدة عن صلب الموضوع أنما تضمن المفيد والعلم النافع وليس كغيره من المؤلفات ومن العنوانات اللافتة الى طبيعة العالم النحوي وما يعتمل في داخله من تأثيرات المجتمع الذي يعيش فيه (الكافية في علم النحو) لابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) فهو كتاب يكفيك عن النحو ويغنيك عن مطالعة غيره والرجوع اليه ، ومن ذلك أيضا كتاب (أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك) لابن هشام(ت٧٦١ هـ) يكشف لنا العنوان المبتدأ بـ(أوضح) اسم التفضيل أنه أوضح المؤلفات على الالفية النحوية ليس هناك من ينافسها في ذلك وهذا نوع من الاقصاء لغيره من المؤلفات ، او أن نطالع كتابه الاخر (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب) فنجد العنوان يحمل بعدا اقصائيا لغيره من المؤلفات إذ إنه يعبر عن أنه المغني للعربي وللمتعلم في النحو عن المؤلفات الأخرى مهما أجادت وابدعت في الشرح والايضاح ، أو أن نقف على مؤلَّف لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) الذي اسماه (همع الهوامع في شرح جمع الجوامع) ومعنى (همع) هو (سيل الماء والهوامع الغيوم المحملة بالمطر) ليعبر عن المادة العلمية التي تضمنها المؤلَّف دون غيره، يقول السيوطي عن مؤلفه هذا أنه "جمع أدناها وأقصاها وكتابا لم يغادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ومجموعات شهد لفضله أرباب الفضائل وجموعا قصرت عنه جموع الاوأخر والاوائل حشدت فيه ما يقر الاعين ويشنق المسامع وأوردته مناهل كتب فاض عليها همع الهوامع .." (مقدمة همع الهوامع).والحق ان هذا التعبير يكشف بما لا يقبل الشك عن مستوى عال من (الانا) وفكر عنيف في الفكر النحوي ضد الاخر، لا يحتاج الى بيان او إيضاح . ومن مظاهر العنف في الفكر النحوي ما حملته المؤلفات النحوية من أمثلة مصنوعة عبرت تعبيرا دقيقا عن طبيعة الحياة آنذاك وهذه الأمثلة كانت تتطلبها طبيعة النحو العربي في شقه التعليمي لا يضاح القاعدة النحوية الا أنها تكشف عن عنف ظاهر في طبيعة المجتمع السائد آنذاك كـ (أيَّ رجل ضربتَ؟) او (أيًّا تضرب أضرب) و (ضرب زيدٌ عمرا) و (هل تضربانِّ ؟) ، و(هل تضربنَّ يا هند ؟) ، و(ضربي العبد مسيئا) ومنه أيضا ما يقع امام الأمير (ضُرِبَ زيدٌ ضربا شديدا يوم الجمعة أمام الأمير) وقد يتعدى الضرب الى الاب كما في (زيدا ضربت عمرا أباه) وقد يصل الضرب الى الاحبة فنجد (زيدا ضربت رجلا يحبه) أما الغلام فلم يخلق الا للضرب فنجد (ضرب غلامها جارُ هند) و (الضاربات غلام الرجل) وكثيرا ما نطالع (غلام زيد وغلام عمرو) فمفردة الضرب لا تفارق كتب النحو وفعل الضرب يتكرر في الأمثلة النحوية ، وقد نجد الفاظا أخرى كاشفة عن طبيعة المجتمع كـ(الخبيث) في (مررت بزيد الخبيث) وهي صفة لزيد او (لا رجل فيها ظريف) (كان طعامك آكلا زيد) او (

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

كان آكلا طعامك زيد) او (لزيد صوتٌ صوتَ حمار) انتقاصا وذما ومنه (مررت برجل سواءً والعدمُ) ونجد لفظة العبد حاضرة في الأمثلة كـ(مررت برجل جريح عبدهُ) .. يتضح لنا من هذه الأمثلة أن ذلك كان سائدا في حياة العرب فتسرب الى لغتهم وأمثلتهم في درسهم التعليمي واستقر في فكرهم النحوي وهو من العنف بمكان والتعسف والاضطهاد اللفظي على مستوى عال.

ولنسلط الضوء أكثر على ما يعتمل في فكر النحوي وما الذي أثر في فكره ولم يغادره نضع عنوانات لمصاديق من هذا العنف الذي عصف بالدرس النحوي وترك أثره بعيدا عن الموضوعية والعلمية في الطرح ومعالجة المسائل والرأي والرأي الاخر تتمثل بالاتي :

الدافع القومي

نقف على نماذج من العنف في الفكر النحوي عند العرب دوافعه خاصة ولها أسباب متعددة منها الانتماءات القومية وغالبا ما تقع بين العرب والاعاجم فيصم العرب الاعاجم بأنهم لا يفقهون شيئا من لغة العرب ولغة القرآن وأنهم ضعاف في النحو، فأبو حيان وهو العربي النحوي يعنف الزمخشري في آرائه النحوية ، فهو الاعجمي الضعيف في النحو، الذي يُستنكرُ منه الرد على العربي الفصيح فيرى، في احدى مسائل النحو، أنه لايمكنه الالتفات الى الزمخشري في الفصل بين المتضايفين فيقول " الزمخشري : إن الفصل بينهما ، يعني بين المضاف والمضاف إليه فشا ، لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر كان سمجا مردودا ، فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته ؟ والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد (شركاؤهم) في أموالهم ، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ، انتهى ما قاله . وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم "[43] ثم يرد أيضا على ابي علي الفارسي في الموضع نفسه فيقول : " ولا التفات أيضا لقول أبي علي الفارسي : هذا قبيح قليل في الاستعمال"[44].

ومنه أيضا رده على الزمخشري، في معرض شرحه للآية القرآنية " قلّ لا أجد فيما أوحي ألي محرما على طعام يطعمه الا أن يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس او فسقا أهل لغير الله به" (الانعام : ١٤٥) فيقول : " وأجاز الزمخشري أن ينتصب فسقا على أنه مفعول من أجله مقدم على العامل فيه وهو أهل ؛ لقوله :

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

وفصل به بين أو وأهل بالمفعول له ، ويكون أو أهل معطوفا على (يكون) ، والضمير في (به) يعود على ما عاد عليه في (يكون) ، وهذا إعراب متكلف جدا ، وتركيب على هذا الإعراب خارج عن الفصاحة" [45]. فتراه يعبر عنه بأنه إعراب متكلف جدا وما ذاك الا لان الزمخشري عجمي فهو يصمه بالضعف في النحو وقلة الفهم وهذا ما يدخل في خانة العنف والتعسف في الفكر النحوي ويبتعد عن الموضوعية في مناقشة الآراء .

الانتماء المذهبي

كل الانتماء الى المذهب عاملا من عوامل العنف في الفكر النحوي ولعلنا نرصد ذلك على أشده عند ابي حيان عندما يشن هجومه بلا هوادة على الزمخشري؛ لانه معتزلي المذهب ففي معرض حديثه عن الآية القرآنية (ولو شاء الله ما فعلوه) الظاهر عود الضمير على القتل؛ لأنه المصرح به والمحدث عنه ، والواو في (فعلوه) عائد على الكثير . وقيل : الهاء للتزيين والواو للشركاء . وقيل : الهاء للبس ، وهذا بعيد . وقيل : لجميع ذلك إن جعلت الضمير جاريا مجرى الإشارة ، وهذه الجملة رد على من زعم أنه يخلق أفعاله . وقال الزمخشري : (ولو شاء الله) مشيئة قسر . انتهى . وهو على مذهبه الاعتزالي[46]

ومن ذلك ما ورد في ألفية ابن مالك من انه نسب هو وأبو حيّان وغيرهما للزمخشري[47] القول بتأبيد النفي بلن قال ابن مالك :

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقولَه اردد وخلافَه اعضدا

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

وشرح هذا البيت فقال : " ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأبيد النفي بلن وهو الزمخشري في أنموذجه ، وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى، وهو اعتقاد باطل بصحة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعني ثبوت الرؤية جعلنا الله من أهلها ، وأعاذنا من عدم الإيمان بها"[48] والقول بعدم رؤية الله تعالى لخلقه هو عقيدة المعتزلة ، والحق أن في هذه المسألة عنفا نحويا مستمدا ومستندا الى الانتماء العقائدي والا فلن تفيد تأكيد النفي في كل الأوقات فما دخل العقيدة في ذلك .

الحسد والحط من قيمة العلماء الاخرين :

مثل الحسد دافعا قويا وعاملا من عوامل العنف والتعسف في الفكر النحوي فيحدث أن يذيع صيت عالم من العلماء لتجديده في الفكر والطرح والرؤية ، فيعنف وينتقص منه، وكثيرا ما يقع ذلك يقول السيوطي " قال الشيخ تاج الدين بن مكتوم في تذكرته :أجاز الزمخشري وصف كم الخبرية ، وجعل من ذلك قوله تعالى :(وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئيا) وقال :(أحسنُ أثاثاً(في موضع النصب صفة لـ(كم) ذكر ذلك في الكشاف وقد نص الشَّلَوْبين في حواشي المفصل ، وابن عصفور في شرح الجمل الكبير على أن كم الخبرية لا توصف ، وقلت لشيخنا الأستاذ أبي حيان : قولهما معارِض الزمخشري فردّ ذلك عليّ وقال : أصحابنا يقولون :إن الزمخشري غير نحوي ، ولا يلتفتون إليه ، ولا إلى خلافه في النحو يعني المواضع التي خالف فيها ، وانفرد بها ، وكتابه المفصل عندهم محتقر لا يُشتغل به ، ولا يُنظر إليه إلا على وجه النقص له والحط عليه ، وأنشدني لبعض الأندلسيين :

ما يقول الزمخشري عند عمرو بن قنبر
والخليل بن أحمدٍ والفتى عبد الاكبر
لم يزدنا زيادة غيرتبديل الاسطر
وسوى اسمه الذي نصف مجموعه خري"[49]

وينقل لنا السيوطي تعنيف ابن مالك للزمخشري فينقل لنا أنه يقول عن الزمخشري :إنه نحوي صغير[50] .
وروى الصفدي عن ابن مالك قوله عن الشيخ جمال الدين بن الحاجب : "إنه أخذ نحوه من صاحب المفصل ، وصاحب المفصل نحوه صُغيِّرات ثم قال الصفدي ، وناهيك بمن يقول هذا في حق الزمخشري "[51]

والامر واضح جدا فالعنف والتعسف على أشدهما فيما ينقل السيوطي، وهو مؤشر على ما انتاب الفكر النحوي عند العرب من الابتعاد عن الموضوعية والميل الى الحسد والانتقاص من الاخرين وما ذلك الا لان صيت الزمخشري ذاع وعلا كعبه في النحو ووفِّق الى لفتات نحوية قيمة أثارت اهتمام العلماء قبل غيرهم .

العامل الاقتصادي و الحضوة عند السلطان

قد يؤدي العامل الاقتصادي والكسب المادي والقرب من السلطان والحفاظ على المنزلة القريبة منه الى العنف والتعسف في الفكر النحوي، فيذكر أن حب المال والمقارنة مع العلماء الاخرين هما من دفع الاخفش الى مناظرة سيبويه، يقول السيرافي : " وهذا الكسائي يقرأ الكتاب على سعيد بن مسعدة الاخفش الأوسط ويثيبه على ذلك مئتي دينار، ويقال سبعين دينارا"[52]

ويقول الاخفش : " كان سيبويه اذا وضع شيئا من كتابه عرضه علي وهو يرى أني أعلم منه ، وكان أعلم مني وأنا اليوم اعلم منه "[53] في إشارة الى أنه افضل النحويين الاحياء في عصره وعلى هذا يجب أن تتجه اليه انظار الخلفاء والوزراء دون غيره.

ومن ذلك أيضا الحادثة الشهيرة المعروفة بالمسألة الزنبورية التي حدثت بين سيبويه والكسائي فأبعادها ودوافعها مادية وما جرى فيها من تعنيف لسيبويه بالرغم من عدم خطئه ، فقد تعمد الكسائي اسقاط سيبويه القادم من البصرة الى بغداد وهذه الرواية دليل واضح على ما كان عليه الكسائي من قلق واضطراب من امر قدوم سيبويه الى بغداد واحتال ليثبت أنه أعلم من سيبويه حتى لا تكون له حضوة عند السلطان فيؤثر ذلك على الكسائي، فينقل أنه (الكسائي) أتى جعفر بن خالد بن برمك والفضل بن يحيى فـ" قال: انا وليكما وصاحبكما، وهذا الرجل إنما قدم ليذهب محلي. قالا : فاحتل لنفسك فإنا سنجمع بينكما فجمعا عند البرامكة، وحضر سيبويه وحده، وحضر الكسائي ومعه الفراء والأحمر وغيرهما من أصحابه، فسألوه: كيف تقول: "كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو هو إياها" قال : أقول "فإذا هو هي" فأقبل عليه الجميع فقالوا: أخطأت ولحنت،

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

فقال يحيى بن خالد بن برمك: "هذا موضع مشكل حتى يحكم بينكم، فقالوا: هؤلاء الأعرب على الباب، فأدخل أبو الجراح ومن وجد معه ممن كان يأخذ منه الكسائي وأصحابه، فقالوا "فإذا هو إياها"، فانصرم المجلس على أن سيبويه قد أخطأ، فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبُعث به إلى بلده"[54] ، ولا شك أن الحق كان مع سيبويه والآيات القرآنية تشهد له بذلك إلا أن الاحتيال وحب الحضوة والمال ادى دورا مهما في ترجيح رأي الكسائي وأصحابه على سيبويه وتعنيفه والقدح بأعلميته في النحو، فخرج سيبويه من بغداد وتوجه تلقاء فارس يتوارى من الناس من سوء ما لحقه، ولم يقدر أن يعود إلى البصرة، حيث كان إمامها غير منازع فمات غما بفارس في عنفوان الشباب وقال حين حضر موته:

.

يـؤمـل دنيـا لتبـقى لـه فوافـى المنية دون الأمل
حثيثا يُروي أصول الفسيل. فعاش الفسيل ومات الرجل

نخلص من الحادثة الى أن المال والاحتيال من اجله ومن اجل الحضوة عند السلطان أدى دورا بارزا في العنف في الفكر النحوي عند العرب .[55]

الميل القلبي

يحدث ان يميل عالم من العلماء الى عالم آخر فيعجب بآرائه وعلميته فينحاز اليه ولكن أن يؤدي ذلك بالعالم المنحاز الى إلغاء الاخرين فهذا أمر يدخل ضمن العنف النحوي من ذلك ما نجده عند ابن عقيل في شرحه على الفية ابن مالك وميله الى سيبويه وإعجابه بآرائه النحوية . يقول :" اذا كان خبر (كان) وأخواتها ضميرا، فإنه يجوز اتصاله وانفصاله، واختُلِفَ في المختار منهما، فاختار المصنف الاتصال، نحو (كنته)، واختار سيبويه الانفصال، نحو (كنت إياه) تقول : الصديق كنته، وكنت إياه) وكذلك المختار عند المصنف الاتصال في نحو (خلتنيه)، وهو كلُّ فعل تعدى الى مفعولين ، الثاني منهما خبر في الأصل وهما ضميرنا ومذهب سيبويه أن المختار في هذا أيضا الانفصال ، نحو (خلتني إياه) ومذهب سيبويه أرجح؛ لانه الكثير في لسان العرب على ما حكاه سيبويه عنهم وهو المشافه لهم قال الشاعر :

اذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذامِ "[56]

ولَم يكتف ابن عقيل بترجيح رأي سيبويه إنما عزز ميله بالبيت الشعري المذكور الذي يشير صراحة الى أن رأي سيبويه هو الذي يجب ان ينظر اليه دون غيره .ومن ذلك أيضا ما ذكره في العامل في المبتدأ والخبر فيذكر أن مذهب سيبويه هو أن المبتدأ مرفوع بال وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ فيقول : " إن العامل في المبتدأ معنوي ... والعامل في الخبر لفظي، وهو المبتدأ وهذا هو مذهب سيبويه رحمه الله ."[57] ثم يذكر آراء النحويين الاخرين وبعدها يقول :" وأعدل هذه المذاهب مذهب سيبويه وهو الأول "[58] فأن إلغاء آراء النحويين الاخرين على نضوج آرائهم وثبات علميتهم فهذا عنف وتعسف في الفكر النحوي واضح ولا يخفى .

الاعتداد بالنفس

كثيرا ما يرد عنف نحوي دافعه الاعتداد بالنفس فتجد بعض الأساليب قاسية التعبير فجة وغير مقبولة تنم على اعتداد واضح بالنفس من ذلك ما نجده في (مغني اللبيب) من رأي لابي حيان يرد به على الزمخشري والشلوبين في كلامه عن(أن الزائدة) فيقول : " وزعم الزمخشري أنه ينجر مع التوكيد معنى آخر ، فقال في قوله تعالى : (ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم) (العنكبوت: ٣٣) دخلت (أن) في هذه القصة ، ولم تدخل في قصة إبراهيم في قوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما) (هود: ٦٩) تنبيها وتأكيدًا على أن الإساءة كانت تتعقب المجيء، فهي مؤكدة في قصة لوط للاتصال واللزوم، ولا كذلك في قصة إبراهيم ، اذ ليس الجواب فيها كالأول، وقال الشلوبين: لما كانت (أن) للسبب في (جئت أن أعطي) ؛ أي للإعطاء أفادت هنا أن الإساءة كانت لاجل المجيء ، وتعقبه، وكذلك في قولهم : (أما والله أن فعلت لفعلت) أكدت(أن) ما بعد لو وهو السبب في الجواب "[59] ، ويقول بعد ذلك :" وهذا الذي ذكراه لا يعرفه كبراء النحويين "[60] والحق أن أبا حيان استعمال عبارة قاسية بحق غيره من النحويين وفيها عنف وتعسف الى درجة أن ابن هشام رد عليه رأيه ووقف مع الزمخشري والشلوبين وانصفهما[61]

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والإجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
سبتمبر 2020 Volume (15)
العدد (15) September 2020
IJOHSS

ومن هذا التعنيف ما نجده عند ابن هشام في رده على سيبويه ردا عنيفا يصفه بالوهم الفاحش يقول:" ثم مما يقطع به على قوله بالبطلان حكاية سيبويه : (كتبت إليه بأن قُم) وأجاب عنها بأن الباء محتملة للزيادة مثلها في قوله :

هنَّ الحرائر لا ربات أخمرةٍ سود المحاجر لا يقرأن بالسورِ

وهذا وهم فاحش ، لان حروف الجر ، زائدة او غير زائدة ، لا تدخل الا على الاسم او ما في تأويله "[62] ، وهذا التعبير فيه ما فيه من العنف والتعسف عندما يقال لعالم في النحو فكيف والعالم سيبويه ! وهذا يكفي دليلا على اعتداد ابن هشام بنفسه في هذا الموضع . ويرد ابن هشام على المبرد والاصمعي بشيء من العنف في رأيهم على أن (إنْ) شرطية في قول الشاعر

سقته الرواعد من صيِّف وإن من خريفٍ فلن يعدما

فيقول:" وقال المبرد والاصمعي : (إن) في هذا البيت شرطية، والفاء فاء الجواب، والمعنى: وان سقته من خريف فلن يعدم الريَّ، وليس بشيء لان المراد وصف هذا الوعل بالري على كل حال"[62] واعتداد ابن هشام بنفسه واضح بيِّن في تعبيره (ليس بشيء) وهذا من العنف والتعسف في الرد على الاخرين .

مما تقدم يمكن ان نخلص الى ما يأتي :

١- شملت البيئة التي عاش فيها العربي عاملا مهما من عوامل العنف وترسباته في ذهنيته وتفكيره مما انعكس على احكامه واسلوبه وطريقة معالجاته.

٢- قد يتأتى العنف في الفكر النحوي من الخلاف في النحو العلمي الذي ينشد البحث من وراء تناسق العربية في الاستعمال اذ يحرص النحوي كل الحرص على اثبات الحكم بالحجة والدليل مما يمكن ان يقع فيه الخلاف ويمكن ان ترد وان تنقض مما يولد عنفا بين العلماء .

٣- للعنف في التفكير النحوي دوافع عامة تمثلت بعصر الفصاحة وما شكله من قيد صارم أقصى الكثير من الاستشهادات التي كانت تصب حتما في فائدة العربية لو لم يكن هناك قيد تمثل بعصر الفصاحة والدافع الاخر هو الحدود الزمانية والمكانية التي ولدت قيودا في اقصاء بعض القبائل من الاستشهادات النحوية، وهناك قيد آخر يمثل عنفا ايضا هو الاستشهاد ببعض القراءات القرآنية ورفض الاستشهاد بقراءات اخرى لأسباب غير موضوعية. وشكلت التحولات السياسية دافعا عاما ايضا للعنف تغلغل في فكر النحوي وأثر كثيرا في نقوده واحكامه.

٤- لما كانت هناك دوافع عامة للعنف ترشحت دوافع خاصة ايضا تمثلت كالانا والدافع القومي والانحياز اليه والانتماء المذهبي ، وعامل الحسد وما تنطوي عليه النفس من امراض الانتقاص والحط من قيمة الاخرين . ومن الدوافع ايضا العامل الاقتصادي والحضوة والتقرب الى السلطان ، ناهيك بالميل القلبي لعالم دون آخر مما يولد فكرا اقصائيا .

الهوامش

1- لسان العرب : (عنف).
2- ينظر المصدر نفسه : (فكر)
3- ينظر: القاموس المحيط : 458
4- معجم اللغة العربية : احمد مختار عمر : ٣: ١٧٣٣- ١٧٣٤
5- ينظر: لسان العرب: (نحو)
6- ينظر: معجم اللغة العربية: ٣ : ٢١٨١
7- تقويم الفكر النحوي :علي أبو المكارم : ٨٢
8- ينظر : تقويم الفكر النحوي :٩٢
9- ينظر: سيبويه امام النحاة: على ناصف النجدي: ١٤٢
10- نشأة النحو: محمد الطنطاوي :٤٢

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
September 2020 Volume (15)
IJOHSS

11- اختلاف النحاة: محمد عبد النبي جعفر :٦٦ (ماجستير)
12- مقدمة ابن خلدون : ٢: ٣٧٨
13- ينظر: في اللسانيات المعاصرة : جودة مبروك محمد: ١٥٧
14- ينظر : الحجاج في الدرس النحوي : حسن خميس الملخ:١٢١(مقال)
15- ينظر : الاحتجاج في الدرس النحوي :١٢٠
16- ينظر: الاغراب في جدل الاعراب :ابو البركات الانباري : ٣٥-٣٦
17- ينظر: السماع اللغوي : عبد الرحمن الحاج صالح : ٤٢
18- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني : ٤٥٨-٤٥٩
19- ينظر :السماع اللغوي : ٣٧
20- ينظر: المصدر نفسه : ٣٧
21- الاقتراح في أصول النحو : السيوطي : ٣٧
22- ينظر: محاضرات في أصول النحو : التواتي بن تواتي : ١٤
23- ينظر: الاقتراح في أصول النحو : السيوطي: ١٠١
24- ينظر: الشاهد وأصول النحو : خديجة الحديثي : ٩٨
25- الاستشهاد والاحتجاج باللغة : محمد عيد :٣٠
26- انباه الرواة : القفطي : ٢: ٢٥٨
27- الاقتراح في أصول النحو : السيوطي : ٤٧
28- ينظر: الاحتجاج والاستشهاد باللغة : محمد عيد : ٣١ .
29- خزانة الادب : البغدادي :٦
30- العمدة في محاسن الشعر ونقده : ابن رشيق القيرواني : ١: ٩٠.
31- خزانة الادب: البغدادي : ١: ٢٢٠
32- ينظر: خزانة الادب : ١: ٥
33- ينظر: الاقتراح في أصول النحو : ٤٠٤
34- ينظر: ضحى الإسلام : احمد امين: ٢: ١٨٩
35- المزهر : السيوطي: ١: ١٠٤- ١٠٥
36- الخصائص : ابن جني: ١: ٤٠٥
37- ينظر : مقدمة المقتضب لعبد الخالق عضيمة: ١: ١١٩
38- ينظر: اللهجات العربية في التراث: احمد علم الدين النجدي : ١: ١٩١
39- ينظر: المدارس النحوية : شوقي ضيف: ١٩
40- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري : ١: ٩
41- من تاريخ النحو : سعيد الافغاني : ٤٥
42- المصدر نفسه : ٤٢-٤٥
43- البحر المحيط : ٤: ٢٢٩
44- المصدر نفسه :٤ : ٢٢٩
45- نفسه :٤: ٢٤١
46- نفسه :٤: ٢٢٩ .
47- ينظر : الكافية الشافية :٢: ١٠٥
48- المصدر نفسه :٢: ١١٥.
49- الأشباه والنظائر : ٥: ٢٧
50- ينظر : المصدر نفسه : ٥: ٢٧
51- في الوافي بالوفيات : ٣: ٣٦٣
52- اخبار النحويين : ٢٨ وانباه الرواة :٢: ٣٦-٣٧
53- انباه الرواة : ٢: ٣٥٠
54- طبقات النحويين واللغويين : ٦٦ ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : الطنطاوي : ٥٢- ٥٥

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
September 2020 Volume (15)
IJOHSS

55- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة : الطنطاوى : ٥٥
56- شرح ابن عقيل : ١: ١١١-١١٢
57- المصدر نفسه : ١: ١٩٤
58- نفسه : ١: ١٩٤
59- مغني اللبيب:١: ٧٩
60- المصدر نفسه :١: ٧٩
61- ينظر: نفسه: :١: ٧٩
62- نفسه: ١: ٦٨-٦٩
63- نفسه: ١: ١٢٦

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

1. اخبار النحويين البصريين : أبو سعيد السيرافي (ت٣٦٨ هـ) ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٩٦٦م.
2. الاستشهاد والاحتجاج باللغة : محمد عيد، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٨م.
3. الاغراب في جدل الاعراب : أبو البركات الانباري ، تحقيق سعيد الافغاني ، مطبعة الجامعة السورية ، سوريا ١٩٥٧م.
4. الاشباه والنظائر : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٤م.
5. الاقتراح في أصول النحو: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١ هـ)، قرأه وعلق عليه محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ٢٠٠٦م.
6. انباه الرواة على انباه النحاة :جمال الدين القفطي(ت ٦٤٦هـ): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب ،القاهرة ١٩٥٥ م.
7. البحر المحيط : أبو حيان(ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق عادل احمد وعلي معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ م.
8. التعليقة على المقرب : بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس: تحقيق جميل عبد الله عويطة ، منشورات وزارة الثقافة ، الأردن ٢٠٠٤م.
9. تقويم الفكر النحوي : علي أبو المكارم ، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٥ م. خزانة الادب ولب لباب لسان العرب : البغدادي(ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٩٧ م .
10. الخصائص :عثمان بن جني(ت ٣٩٢ هـ) تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية ، مصر، د.ت
11. دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ، د.ت.
12. السماع اللغوي عند العرب وجهة الفصاحة : عبد الرحمن الحاج صالح، موفم للنشر ، الجزائر ٢٠٠٧ م
13. سيبويه امام النحاة: عليّ ناصف النجدي ، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٩ م
14. الشاهد وأصول النحو: خديجة الحديثي ، جامعة الكويت، الكويت ١٩٧٤ م.
15. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار زين العابدين ، ايران ٢٠١٧ م.
16. ضحى الإسلام: احمد امين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
17. في اللسانيات المعاصرة النظرية والتطبيق: جودة مبروك محمد ، مكتبة الاداب ، القاهرة ، ٢٠١٤ م.
18. القاموس المحيط : الفيروزآبادي، تحقيق محمد العرقسوسي ، بيروت ٢٠٠٥
19. الكافية في علم النحو : ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الاداب ، القاهرة ٢٠١٠ م.
20. لسان العرب : ابن منظور الافريقي، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨م

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125

المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
International Journal of Humanities and Social Sciences
website:www.ijohss.com
Email:editor@ijohss.com
ISSN: 2415 – 4822
العدد (15) سبتمبر 2020
Volume (15) September 2020
IJOHSS

21. المدارس النحوية : شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر ، د.ت. معجم اللغة العربية : احمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الرياض ،د.ت.
22. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ابن هشام الانصاري(ت ٧٦١ هـ) ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٩٨ م
23. المقتضب : أبو العباس المبرد(ت ٢٨٥ هـ): تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ،د.ت.
24. .مقدمة ابن خلدون : ابن خلدون(ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب ٢٠٠٤م.
25. من تاريخ النحو : سعيد الافغاني ، دار الفكر ، بيروت ،د.ت.
26. نشأة النحو تأريخ اشهر النحاة : محمد الطنطاوي، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٥ م.
27. النشر في القراءات العشر : ابن الجزري(ت ٨٣٣ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،د.ت.

الرسائل والاطاريح

1. اختلاف النحاة ، ثماره وآثاره في الدرس النحوي : محمد عبد النبي جعفر (ماجستير) جامعة ام درمان الإسلامية ٢٠٠٩ م.
2. الخلاف النحوي في المقتصد : علي محمد الشهري (ماجستير) جامعة ام القرى ، مكة ، ١٤٢٠هـ

المقالات والأبحاث

الحجاج في الدرس النحوي : حسن خميس الملخ ، مجلة عالم الفكر ،العدد (٢) المجلد (٤٠) الكويت ٢٠١١ م.

DOI: 10.33193/IJoHSS.15.2020.125